مالك بن دينار

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[3]

مالك بن دينار

مالك بن دينار

مُطَلِّق الدنيا

هو مالك بن دينار البصري، مولى لامرأة من بني سلمة بن لؤي.

يكنى أبا يحي، كان يكتب المصاحف.

كان لشهوات الدنيا تاركًا، وللنفس عند غلبتها مفارقًا.

يا حملة القرآن:

قال مالك بن دينار:

- يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن أن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن.

فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة واحدة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟

مثل قراء هذا الزمان:

قال مالك بن دينار:

- مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخًا ونصب فيه برة - البر: القمح - فجاء عصفور فقال:

- ما غيبك في التراب؟

قال:

- التواضع.

قال:

- لأي شيء انحنيت؟

قال:

- من طول العبادة.

قال:

- أعددتها للصائمين.

فقال:

- نعم الجار أنت.

فلما كان عند المغرب دنا العصفور من البرة - الحبة - ليأخذها فَخَنَقَه الفخ، فقال العصفور:

- إن كان العباد يخنقون خَنْقك فلا خير في العباد اليوم.

هذه وضعت القيود في رجلك:

دخل مالك بن دينار ذات يوم على رجل محبوس قد أخذ بخراج - الخراج: الأتاوة - خرج عليه وقيد فقال:

- يا أبا يحيى أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟

فرفع مالك بن دينار رأسه فإذا سلة فتساءل:

- لمن هذه السلة؟

قال الرجل المحبوس:

- لي.

قال أبو يحيى:

- فمر بها فلتنزل - فتنزل -.

فأنزلت، فلما وضعت بين يدي مالك بن دينار فإذا بها دجاج وأخبصة - الخبيص: الحلواء المخبوصة -.

قال أبو يحيى:

- هذه وضعت القيود في رجلك لا هم.

وقام عنه.

موكب سليمان بن داود عليهما السلام:

قال أبو يحيى:

خرج سليمان بن داود عليهما السلام في موكبه، فمر ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال:

- أتدرون ما يقول هذا؟

قالوا:

- الله ورسوله أعلم.

قال سليمان عليه السلام:

- فإنه يقول: أصبت اليوم نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

ألا تدعوا قارئًا:

قال جعفر:

- يا أبا يحيى ألا تدعو قارئًا؟

قال مالك بن دينار:

- إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة.

فقالوا له:

- ألا نستسقي؟

قال أبو يحيى:

- أنتم تستبطئون المطر لكني أستبطئ الحجارة - الرجم من السماء -.

في مكة:

خرج مالك بن دينار للحج وفي الطريق إلى أم القرى رأى بلال بن أبي بردة والناس يطوفون حوله فقال له:

- ما تعرفني؟

قال أبو يحيى:

- بلى، أعرفك أولك نطفة وأوسطك جيفة وأسفلك دودة.

فهم أصحاب أمير البصرة، أن يضربوه فقال لهم:

- هذا مالك بن دينار.

فتركه ومضى.

ومر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر حول الكعبة في مشيته فقال أبو يحيى:

- أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين - عندما تصف الطائفتان للقتال -؟

فقال المهلب بن أبي صفرة:

- أما تعرفني؟

قال مالك بن دينار:

- أعرفك أحسن المعرفة.

قال المهلب:

- وما تعرف مني؟

قال أبو يحيى:

- أما أولك فنطفة مذرة - فاسدة -، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة.

فقال المهلب بن أبي صفرة:

- الآن عرفتني حق المعرفة.

يقول جار لمالك بن دينار:

- كنت مع مالك في طريق مكة.

فقال أبو يحيى:

إني داع بشيء فأمنوا عليَّ.

ثم قال مالك بن دينار:

- **اللهم لا تدخل بيت مالك بن دينار من الدنيا قليلاً ولا كثيرًا.**

اعتبر بمن سبقك:

لما رجع مالك بن دينار من مكة إلى البصرة بعث إليه بلال بن أبي بردة، فذهب إليه وهو في قبة فقال له:

- يا أبا يحيى أقصص عليّ.

فقال مالك بن دينار في نفسه:

- قد أصبت هذا خاليًا فأي قصص أقص عليه؟

ثم عاد أبو يحيى وقال في نفسه:

- ماله خير من أن أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس.

فتساءل مالك بن دينار:

- أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟

قال بلال من أبي بردة:

- بناها عبيد الله بن زياد.

قال أبو يحيى:

- بناها وبنى البيضاء وبنى المسجد، فولى ما ولى من أمره أن هرب فطلب فقتل، ثم ولى البصرة بشر بن مروان.

فقالوا:

- أخو أمير المؤمنين.

فمات بالبصرة فحملوه وحشد الناس في جنازته، ومات زنجي فحمله الزنج على طن قصب - القصب: أنابيب من جوهر -، فذهبوا

بأخي أمير المؤمنين فدفنوه.

وذهب بالزنجي فدفنوه.

ثم جل مالك بن دينار يقص على بلال بن أبي بردة أميرًا أميرًا حتى انتهى إليه.

ثم قال أبو يحيى في نفسه:

- قد بنيت دارًا بالكوفة فلم ترها حتى أخذت فسجنت فعذبت.

فقال والي البصرة:

- يا أبا يحيى ادع لي.

قال مالك بن دينار:

- كم من مظلوم بالباب يدعو عليك؟

عظ نفسك:

قال مالك بن دينار:

- أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني.

وقال أبو يحيى:

قال روح الله وكلمته لأصحابه:

- أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها - النصب: التعب -، **لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل.**

وقال مالك بن دينار:

لما بعث عيسى بن مريم عليه السلام أكب الدنيا على وجهها ثم رفعها الناس بعده، حتى بعث محمد ﷺ فأكبها على وجهها، ثم رفعناها بما لقينا منها بعده.

وقال مالك بن دينار:

دخل عيسى بن مريم مسجد بيت المقدس وهم يتبايعون فيه، فجعل ثوبه مخراقًا.

المخراق: المنديل يلف ليضرب به - وسعى عليهم ضربًا وقال:

- يا بني الحيات و الأفاعي اتخذتم مساجد الله أسواقًا؟

وقال أبو يحيى:

مر عيسى بن مريم مع الحواريين على جيفة كلب فقال الحواريون:

- ما أنتن ريح هذا؟

قال المسيح عليه السلام:

- ما أشد بياض أسنانه - يعظهم وينهاهم عن الغيبة -.

وقال مالك بن دينار:

كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا مر بدار قد مات أهلها وقف عليها فنادى:

- ويح أربابك الذين يتوارثونك، كيف يعتبروا فلعلك بإخوانهم الماضين؟

وقال أبو يحيى:

قال المسيح عليه السلام:

- خشية الله وحب الفردوس يباعدان، من زهرة الدنيا، ويورثان الصبر على المشقة.

ثم قال كلمة الله وروحه:

- بحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

هذا خير من جليس السوء:

رأى جعفر بن سليمان مع مالك بن دينار كلبًا يتبعه فقال له:

- يا أبا يحيى ما هذا الذي معك؟

قال مالك بن دينار:

- هذا خير من جليس السوء.

لا شيء أحب إليَّ من الإسلام:

قال مالك بن دينار:

وقفت يومًا من الأيام تحت صومعة راهب فسمعته يقول:

- يا من لاذ بحرمه الخائفون، ورغب فيما عنده الطالبون، أسألك الإخلاص من القصاص حين: {وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [سورة ص الآية: ٣].

والمعنى: (لا خلاص أي ساعة لا منجى ولا فوت) - وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها.

ثم بكى فعلا بكاؤه.

فناداه أبو يحيى:

- يا راهب.

فأشرف على مالك بن دينار فقال له:

- لم تخليت عن الدنيا، وحبست نفسك ههنا وحيدًا فريدًا؟

قال الراهب:

- تخليت عنها قبل أن تتخلى عني، وهربت منها قبل أن تتمكن مني.

فقال أبو يحيى:

- حدثني بقصتك.

قال الراهب:

- كنت على دين النصرانية، فأقمت على ذلك مدة من عمري، فلما كان في بعض الليالي أتاني آت في منامي فقال لي:

- ويحك إلى كم تعبد غير الله الذي خلقك؟ أما تخاف أن يأخذك بغتة وأنت لا تشعر؟ إن عيسى بن مريم من عبيد الله.

فقلت له:

- من أنت؟

قال:

- أنا آخذ بحجز - الحجز: موضع شد الإزار على الجسد - الخلائق وهم يقتحمون جهنم، أنا شفيع المذنبين، أنا خاتم النبيين، أنا الذي بشر بي عيسى، وشهد بنبوتي موسى، أنا في التوراة موصوف، وفي الإنجيل معروف.

ثم مسح على صدري وقال:

- اللهم ألهم عبدك للرشاد، ووفقه للسداد.

فانتبهت من نومي ولا شيء أحب إليَّ من الإسلام، فأسلمت، وبقيت في صومعتي هذه هاربًا من أبناء الدنيا.

فقال مالك بن دينار للراهب:

- إياك أن تدخل قلبك محبة الأبيض - الفضة - والأصفر - الذهب - فإن محبتهما شين.

إن الذي هداني قد أخبرك بحالي:

كان أبو يحيى يسير ذات ضحى في أحد شوارع البصرة، فوجد رجلاً ملقى على ظهره وقطرات الخمر على شفتيه وهو يقول:

- الله الله.

فقال مالك بن دينار:

- لا يجمل لهذا الاسم الكريم أن يخرج من بين شفتين مخمورتين.

فأمر بماء، فأحضر الماء وغسل الشفتين، ثم دعا الله تعالى أن يهدي هذا المخمور.

ورجع أبو يحيى إلى بيته، وعندما نام سمع من يقول له:

- يا مالك طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك.

ولما استيقظ مالك بن دينار من نومه ذهب ليصلي الفجر كعادته في المسجد، وفي الطريق وجد رجلاً يرسل زفرات الندم ويقول لربه:

- يا رب أنا واقف بين يديك فاقبل توبتي.

ثم قال بعد هنيهة:

- أأهنئ نفسي بقبول التوبة أو أعزيها برفض التوبة؟

ولما سمع ذلك أبو يحيى تقدم في الظلام، وعندما اقترب من الرجل سأله:

- من أنت يرحمك الله؟

فلما أمعن مالك بن دينار النظر وجده الرجل المخمور الذي غسل فمه البارحة، فسأله:

- كيف حالك يا عبد الله؟

قال الرجل:

- يا أبا يحيى إن الذي هداني قد أخبرك بحالي.

مجالس الأموات:

كان مالك بن دينار يقضي بعض أوقات فراغه بين المقابر، فدخل عليه ذات يوم رجل فوجده جالسًا بين القبور فسأله:

- يا أبا يحيى مع من تجلس هنا؟

فأشار مالك بن دينار بيده نحو المقابر، فقال الرجل:

- أتجلس بين الأموات؟

قال أبو يحيى:

- كلا إنني أجلس مع قوم إذا كنت بينهم لا يؤذوني، وإذا غبت عنهم لا يغتابوني.

يقول مالك بن دينار:

- أتيت على قبر فإذا مكتوب عليه:

::
يا أيها الركب سيروا غايتكم : أن تصبحوا ذات يوم لا
حثوا المطايا وارخوا من :: تسيرونا
أزمتها : قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا :: دهر فسوف كما كنا تكونونا
:

ومر مالك بن دينار ذات يوم على رجل يغرس فسيلاً، ثم غاب عنه يسيرًا ثم مر بالفسل وقد أطعم - أثمر - فسأل أبو يحيى عن صاحب هذا الغرس - الذي غرسه - فقالوا:

- مات.

- ثم أنشأ يقول:

::
مؤمل دنيا لتبقى له : فمات المؤمل قبل الأمل
يربى فسيلا ويعني به :: فعاش الفسل ومات الرجل
:

وذات يوم دخل مالك بن دينار المقابر حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فقال مالك بن دينار:

- غدًا هكذا يصير مالك وليس شيء يتوسده في قبره.

فلم يزل يقول:

- غدًا مالك يصير.

حتى خر مغشيًا عليه في جوف القبر.

فحملوه وانطلقوا به إلى منزله مغشيًا عليه.

ما أرحمني بعياله:

رأى أبو يحيى رجلاً في المسجد يسيء صلاته فقال مالك بن دينار:

- ما أرحمني بعياله.

فقيل له:

- يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟

قال أبو يحيى:

- إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

في أي الدارين مالك؟

كان أبو يحيى إذا أقام في محرابه قال:

- يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار، ففي أي الدارين مالك؟

ثم يبكي مالك بن دينار.

التوحيد طريق الجنة:

رأى مالك بن دينار قومًا يحملون جنازة في إحدى سكك البصرة وليس معهم أحد فسألهم:

- أين الناس؟

قالوا:

- هذا رجل من كبار المذنبين، وعظماء المسرفين، وقد امتنع

الناس عن تشييع جنازته، وليس له صديق ولا حبيب.

فتبعه أبو يحيى وصلى عليه وأنزله في حفرته.

ثم انصرف مالك بن دينار إلى ظل شجرة هناك فنام، فرأى ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبر الرجل، ونزل أحدهما فقال له الآخر:

- لا تعجل عليه يا أخي واختبر عينيه.

فرجع وقال:

- لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى ما لا يحل.

قال:

- فاختبر لسانه.

قال:

- اختبرته فوجدته مملوءًا بالخوض في الباطل.

قال:

- فاختبر أذنيه.

قال:

- قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بسماع ما لا يحل.

قال:

- فاختبر يديه.

قال:

- قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام.

قال:

- فاختبر رجليه.

قال:

- لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعي إلى المحرمات.

فقال له:

- يا أخي لا تعجل ودعني أنزل إليه.

فنزل إليه، وأقام ساعة، ثم رجع وقال لصاحبه:

- يا أخي اختبرت قلبه فوجدت فيه ذرة من التوحيد .. اكتبه مرحومًا.

شعر:

لا تيأسن وإن أسأت فربما :: صفح الجليل عن الجليل الهائل

التوبة النصوح:

قال مالك بن دينار:

كنت في أول أمري مكبًا على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جارية وتسريت بها، وولدت لي بنتًا فأحببتها حبًا شديدًا، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها.

ولما كانت ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي - التنين: الحية العظيمة - فهربت منه فتبعني، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف فقلت له:

- يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وهلاكي.

فقال الشيخ:

- يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه، فأسرعت في الهرب وهو ورائي،

فأشرفت على طبقات النار وهي تفور، فكدت أهوي فيها، وإذا قائل يقول:

- لست من أهلي.

فرجعت هاربًا، والتنين في أثري، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول:

- أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه.

فتحت الأبواب ورفعت الستور، وأشرقت عليَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتي معهم، فلما رأتني نزلت إليَّ كفلقة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا، وجلست في حجري وقالت:

- يا أبت {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [سورة الحديد الآية: ١٦].

فقلت:

- يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟

قالت:

- نحن أعرف به منكم.

قلت:

- يا بنية ما تصنعون هاهنا؟

قالت:

- نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا هاهنا إلى يوم القيامة، ننتظر تقدمون علينا.

قلت:

- يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد هلاكي؟

قالت:

- يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد هلاكك.

فقلت:

- ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته؟

قالت:

- ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين.

يقول مالك بن دينار:

- ثم ارتفعت، واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتي.

إني قرأت في التوراة:

قال مالك بن دينار:

- قرأت في التوراة: ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكيًا، فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك، وبالغيب رأيت نوري - تلك الرقة وتلك الفتوح الذي يفتح الله لك منه -.

وقال أبو يحيى:

- وجدت في بعض الكتب: سبحوا الله أيها الصديقون بأصوات حزينة.

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤوي الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها، اليوم أنتقم لهم.

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في الزبور: إني لأنتقم من المنافق بالمنافق، ثم أنتم من المنافقين جميعًا، ونظير ذلك في كتاب الله عز وجل: {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩} [سورة الأنعام الآية : ١٢٩] - والمعنى: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع عن ظلمه، سلط الله عليه ظالمًا آخر ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو الرعية -.

دعاء:

كان مالك بن دينار يقول في دعائه:

- اللهم أقبل بقلوبنا إليك حتى نعرفك حسنا، وحتى نرعى عهدك، وحتى نحفظ وصيتك.

اللهم سومنا سيما الأبرار، وألبسنا لباس التقوى.

اللهم إنا نتوب إليك قبل الممات، ونلقي السلام قبل اللزام.

اللهم انظر إلينا منك نظرة تجمع لنا بها الخير كله، خير الآخرة وخير الدنيا.

ثم يقف مالك بن دينار عند كلامه هذا ويقول:

- يحسبون أني أعني بخير الدنيا الدينار والدرهم؟ لا إنما أعني العمل الصالح حتى ألقاك وأنت عنا راض، رغبة ورهبة إليك يا إله السماء وإله الأرض.

ثم يبكي بكاء خفيفًا، فيبكي من حوله.

يا مجيب المضطر إذا دعاك.

قال أبو يحيى:

خرجت إلى الحج، وفيما أنا سائر في البادية إذ رأيت غرابًا في فمه رغيف فقلت:

هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إن له لشأنًا.

فتبعته حتى نزل عن غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً مشدودًا لا يستطيع فكاكًا، والرغيف بين يديه.

فقلت للرجل:

- من تكون؟ ومن أي البلاد أنت؟

قال الرجل:

- أنا من الحجاج، أخذ اللصوص مالي ومتاعي، وشدوا وثاقي وألقوني في هذا الموضع كما ترى، وصبرت على الجوع أيامًا، ثم توجهت إلى ربي وقلت: يا من قال في كاتبه العزيز: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [سورة النمل الآية: ٦٢]، فأنا مضطر فارحمني، فأرسل هذا الغراب بطعامي.

قال مالك بن دينار:

فحللته من وثاقه، ثم مضينا فعطشنا، وليس معنا ماء، فنظرنا في البادية فرأينا جمعًا من الظباء عند بئر فدنونا منها، فنفرت وأقامت غير بعيد، فلما وصلنا إلى البئر كان الماء في قعره، فاحتلنا حتى استقينا وشربنا، وعزمت ألا نبرح حتى نسقي الظباء، فحفرت وصاحبي حفرة وملأناها بالماء، وتنحينا فأقبلت الظباء فشربت حتى رويت.

فإذا هاتف يهتف بي ويقول:

- يا مالك دعانا صاحبك وتوجه إلينا بقلبه ونفسه فأجبناه وأطعمناه وحللنا وثاقه وسقيناها وتوكلت علينا الظباء فسقيناها.

الركوة:

قال الحارث بن نبهان الجرمي:

قدمت من مكة فأهديت مالك بن دينار ركوة - الركوة إناء صغير

من جلد يشرب فيه الماء - فكانت عند أبي يحيى، وذات يوم جاء الحارث إلى مجلس مالك بن دينار فقال له:

- يا حارث تعال خذ تلك الركوة.

فقال الحارث بن نبهان:

- لماذا يا أبا يحيى؟

قال مالك بن دينار:

- **فقد شغلت قلبي.**

فقال الحارث الجرمي:

- يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب.

قال مالك بن دينار:

- يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سرقت، فقد شغلت قلبي.

اجعل بينك وبين الشهوات حائطًا:

خرج مالك بن دينار يوم إلى الجبل فرأى عليه راهبًا فناداه:

- يا راهب.

قال الراهب:

- ماذا تريد يا هذا؟

قال أبو يحيى:

- يا راهب أفدني شيئًا مما زهدني في الدنيا.

قال الراهب:

- أولست صاحب قرآن وفرقان؟

قال مالك بن دينار:

- بلى، ولكني أحب أن تفيدني من عندك شيئًا أزهد به الدنيا.

قال الراهب:

- إن استطعت أن تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد فافعل.

قال أبو يحيى:

- من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق - الفرق: الخوف - الشيطان من ظله.

حريق بالبصرة:

وذات يوم وقع حريق بالبصرة، فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه وقال:

- هلك أصحاب الأثقال - يريد بالأثقال متاع البيت وأثاثه الثمين -.

ولم تنصرم أيام حتى وقع حريق في بيت مالك بن دينار، فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له:

- يا أبا يحيى البيت.

قال مالك بن دينار:

- ما فيه إلا السندانة - الأتاك - ما أبالي أن يحترق.

في دار الخراج:

دخل مالك بن دينار دار الخراج يومًا ينظر فإذا برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل - قيد ضخم - في رجليه، فبينما هو ينظر إذ أتى بطعامه فوضع بين يديه، فتعجب أبو يحيى من أكله ومما هو فيه فقال له الرجل:

- تعال كل يا أبا يحيى.

فقال مالك بن دينار:

- أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا.

فتقدم إليه ابن عم الرجل وقال:

- يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق عليَّ وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه.

فقال مالك بن دينار:

- أتدري ما مثل ابن عمك؟ مثل شاة أكلت عجين قوم فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه، وصاحب الشاة يدعو الله على مقتل، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟

الإبرار يتواصلون بثلاث:

قال مالك بن دينار:

- كان الأبرار يتواصلون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة.

وقال أبو يحيى:

- لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضًا يمشون عليها.

وقال مالك بن دينار:

- تلقى المؤمن شاحبًا وتلقى المنافق وباصًا - براقًا -.

دعوني من طبكم:

اشتكى بطن مالك بن دينار فقيل له:

لو عمل لك قلية فإنها تحبس البطن.

فقال أبو يحيى:

- دعوني من طبكم.

اللهم إنك تعلم أني لا أريد البقاء في الدنيا لبطني ولا لفرجي، فلا تبقني في الدنيا.

ثم قال أبو يحيى وهو يأخذ بلحيته:

- يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

القائم بالليل:

قال مالك بن دينار:

قالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها الربيع:

- يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟

قال لها أبوها:

- يا بنية: إن أباك يخاف البيات - الموت -.

وكان الربيع بن خيثم من القائمين بالليل.

طلقت الدنيا ثلاثًا:

كان رجل من أغنياء البصرة، وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها:

- قد خطبك بنو هاشم والعرب الموالي فأبيت، أراك تريدين مالك بن دينار وأصحابه؟

قالت:

- هو والله غايتي

فقال الأب لأخ له:

- ائت مالك بن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له.

فأتاه وقال له:

- فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة ولى ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي.

قال مالك بن دينار:

- عجبًا لك يا فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثا؟

مهلاً يا بني:

قال مالك بن دينار:

كان حبر من أحبار بني إسرائيل، رأى يومًا بعض بنيه غمز - غمز الشيء بيده وغمز بعينه - النساء فقال:

- مهلاً يا بني.

وسقط من سريره فانقطع نخاعه، فأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش وأوحى الله تعالى إلى نبيهم:

أن أخبر فلانًا أني لا أخرج من صلبك صِدِّيقًا أبدًا ما كان غضبك لي إلا أن قلت:

- مهلاً يا بني مهلاً.

وقال مالك بن دينار لأحد مريديه:

- إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانًا في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك.

الرزق:

بينما كان مالك بن دينار يتناول طعامه ذات يوم دخلت عليه هرة - قطة - فخطفت قطة لحم كانت أمامه لم تمتد إليها يده، كان يريد أن يتصدق بها، قام أبو يحيى وتبع القطة، لماذا لم تأكل قطعة اللحم؟ أخذتها لتقدمها لأولادها؟

ذهبت القطة من جحر إلى جحر، حتى انتهت إلى جحر فألقت قطعة اللحم أمامه.

يقول مالك بن دينار:

- فنظرت لأرى ماذا في داخل هذا الجحر، فرأيت ثعبانًا أعمى، فخرج وأكل قطعة اللحم.

من هاهنا اتفقا:

كان أبو يحيى يقول:

- لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة.

رأى مالك بن دينار يومًا غرابًا مع حمامة، فعجب من ذلك ثم قال:

- اتفقا ليس من شكل واحد.

ثم مشى الغراب والحمامة فإذا هما أعرجان.

فقال مالك بن دينار:

- من هاهنا اتفقا.

من سرق المصحف؟

سُرق مصحف لمالك بن دينار، فوعظ أصحابه، فجعلوا يبكون، فقال أبو يحيى:

- كنا نبكي فمن سرق المصحف؟

يقول مالك بن دينار:

- لو أن القوم كلفوا الصمت لأفلوا المنطق.

قرأت في بعض كتب الحكمة:

قال مالك بن دينار:

- قرأت في كتب الحكمة أن الله يبغض كل حبر سمين.

وقال أبو يحيى:

- قرأت في بعض كتب الحكمة: إن الله تعالى يقول: **إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه .**

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في بعض كتب الحكمة: **إني أنا الله مالك الملوك، قلوب العباد بيدي فمن أطاعني جعلت عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، لا تشاغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم .**

قال داود عليه السلام:

قال مالك بن دينار:

- قال داود نبي الله عليه السلام: يا معاشر الأتقياء تعالوا أعلمكم خشية الله، أيما عبد منكم أحب أن يحيا ويرى الأعمال الصالحة، فليحفظ عينيه أن ينظر إلى السوء، ولسانه أن ينطق الإفك - الكذب - عين الله إلى الصديقين وهو يسمع لهم.

قال كليم الله:

قال أبو يحيى:

- قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك؟

قال عز وجل:

- **عند المنكسرة قلوبهم .**

يا هؤلاء:

قال مالك بن دينار:

- يا هؤلاء إنما المؤمن مثل الشاة المأبورة التي أكلت وبرها،

فهي تأكل ولا نفع عليها لما قد خالطه من الحزن بين يديه.

مثل امرأة حسناء:

قرأ أبو يحيى في الكتاب الأول - التوراة -:

- مثل امرأة حسناء لا تحصن فرجها كمثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها طوق من ذهب، يقول القائل:

- ما أحسن هذا الحلى، وأقبح هذه الدابة.

القربان:

خرج أبو يحيى إلى مكة حاجًا، فبينما هو في الطريق رأى شابًا ساكتًا لا يذكر الله تعالى، فلما سجى الليل رفع رأسه إلى السماء وقال:

- يا من لا تنقصه المغفرة، ولا تضره المعصية، هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك.

ولما كان مالك بن دينار بذي الحليفة رأي ذلك الشاب، وقد ارتدى ملابس إحرامه، والناس يلبون وهو صامت لا يلبي، فسأله أبو يحيى:

- لماذا لا تلبي؟

قال الشاب:

- يا شيخ وما تغنى التلبية؟ وقد بارزته بالمعصية، وذنوب سالفات وجرائم مكتوبات؟

ثم قال الشاب:

- والله إني لا أخشى أن أقول: لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك، لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك.

فقال أبو يحيى:

- لا تعني ذلك، فإنه حليم، إذا غضب رضى، وإذا رضى لم يغضب، وإذا وعد وفى، وإذا توعد عفا.

فقال الشاب:

- يا شيخ أتشير بالتلبية؟

قال مالك بن دينار:

- نعم فبادر إلى الأرض واضطجع.

فوضع الشاب خده على التراب وأخذ حجرًا فوضعه على خده الآخر وأرسل دمعه وقال:

- لبيك اللهم لبيك، قد خضعت لك، وهذا مصرعي بين يديك.

وأقام الشاب على ذلك ساعة، ثم مضى.

فلم يره أبو يحيى إلا في منامه وهو يقول:

- اللهم إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك، وليس لي شيء أتقرب به إليك إلا نفسي فتقبلها مني.

ثم شهق شهقة.

وخر ميتًا.

قولوا للكوز يدعو لكم:

مر تاجر بعشار - قابض العشر، ومنه في الحديث: إن لقيتم عاشرًا فاقتلوه - فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار وذكر له ذلك، فقام أبو يحيى ومشى مع التاجر إلى العشار، فلما رأوه قالوا:

يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟

قال مالك بن دينار:

- حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل.

قالوا:

- قد فعلنا.

وكان عند العشار كوز يجعلون فيها ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا:

- ادع الله لنا يا أبا يحيى.

قال مالك بن دينار وهو يهم بالانصراف.

- قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟

التراب:

نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم المسجد فجلس وقال له:

- هل لك أن أكلم لك بعض العشارين يجرون عليك شيئًا وتكون معهم؟

قال الشاب:

- افعل ما شئت يا أبا يحيى.

فأخذ مالك بن دينار كفًا من تراب فجعله على رأسه.

إذا قرأ مالك بن دينار القرآن:

قرأ أبو يحيى قوله تعالى: { لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [سورة الحشر الآية: ٢١].

ثم قال مالك بن دينار:

- أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه.

وكان مالك بن دينار إذا قرأ: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾} [سورة الزلزلة الآية: ١].

جعل ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ } [سورة الزلزلة الآيتان: ٧ - ٨].

جعل مالك بن دينار يبكي ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم سريعًا.

مالك بن دينار والحسن البصري:

سأل مالك الحسن:

- ما عقوبة من أحب الدنيا؟

قال الحسن البصري:

- موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة فعند ذلك ترحل عنه بركة العلم ويبقى رسمه.

خطيئتـي أحملها على عنقي:

قال مالك بن دينار:

نزل عابد على عابد وللمنزول عليه ابنة فقال لها أبوها:

- أكرمي أخي هذا وقومي عليه وتعاهديه.

فلم يزل الشيطان به حتى وقع عليها فحملت، وولدت غلامًا.

فهابت الابنة أن تقذفه.

فقال العابد - الضيف - لأبيها.

- هب لي هذا الغلام فأتبناه.

قال الأب:

- هو لك.

فأخذ العابد الولد ووضعه على عاتقه ثم جعل يطوف به في ملأ من عباد بني إسرائيل ويقول:

- يا إخوتاه أحذركم مثل ما لقيت خطيئتي أحملها على عنقي.

في بيت مالك بن دينار:

كان أبو يحيى يعيش عيشة الكفاف، فقد كان لشهوات الدنيا زاهدًا،

وللنفس عند غلبتها تاركًا، كان عالمًا - قاصًا - يكتب المصاحف ولا يأخذ عليها من الأجر أكثر من عمل يده فيدفعه عند البقال فيأكله، وكان يكتب المصحف في أربعة أشهر.

قال مالك بن دينار:

- إنما العالم - أو القاص - الذي أتيته فلم تجد في بيته قص عليك بيته، فترى حصيرًا للصلاة، ترى مصحفًا، ترى إجانة - إناء - للوضوء، ترى أثر الآخرة.

وقد كان في بيت مالك سرير أثل - الأثل: شجر من نوع الطرفاء مرمول بالشريط وعليه قطعة بوري - حصير منسوج من قصب - وعليه قطعة كساء، وركوة.

أما طعام مالك بن دينار فكان كما قال سلام بن مسكين:

- دخلت على أبي يحيى يومًا فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين فقد يكسر ذلك الرغيفين في الماء حتى ظن أن الخبز ابتل.

ثم قال مالك بن دينار لسلام:

- ناولني الدوخلة - ما ينسج من الخوص ويجعل قفى الرطب - فإذا دوخلة معلقة يابسة، فوضعها سلام بن مسكين أمام مالك بن دينار، فأخرج منها صرة فيها ملح وقال له:

- ادن - قرب -.

فقال سلام بن مسكين:

- يا أبا يحيى لا أشتهي.

قال مالك بن دينار:

- هيهات هيهات أنت ممن غذي في الماء العذب فلا تصير في الماء الملح.

وكان أدم مالك بن دينار يشتري كل سنة ملحًا بفلسين.

وكان يخلط الدقيق بالرماد، يقول مالك بن دينار:

- خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره.

وذات يوم كان أحد جلساء أبي يحيى عنده في بيته فأخذ مالك بن دينار جلدة ساعده وقال:

- ما أكلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة.

وجعل يعدد كذا وكذا.

ثم تساءل:

- ألست أنا مالك بن دينار؟

ثم قال:

- إنه لتأتي على السنة لا آكل فيها لحمًا إلا في يوم الأضحى، فإني آكل من أضحيتي لما يذكر فيه.

وقال مالك بن دينار لرجل من أصحابه:

- إني لأشتهي رغيفًا لينًا بلبن رائب.

فانطلق الرجل ثم جاء به، فجعله أبو يحيى على الرغيف وراح يقلبه وينظر إليه ثم قال:

- اشتهيتك منذ أربعين سنة حتى كان اليوم وتريد أن تغلبني؟ إليك عني.

وأبى أن يأكله.

وكان هشام وسعيد بن أبي عروة وحوشب يطلبون علم أبي يحيى فقالوا:

- أين أبو يحيى؟

فقالوا ذات يوم:

- عند البقال.

فقال هشام وسعيد وحوشب:

- قوموا بنا إليه.

فوجدوه عند البقال، فقال مالك بن دينار لهشام:

- يا هشام إني أعطي هذا البقال كل شهر درهمًا ودانقين وآخذ منه كل شهر ستين رغيفًا آكل كل ليلة رغيفين، فإذا أصبتهما سخنًا فهو أدمهما، يا هشام إني قرأت في زبور داود عليه السلام:

إلـهي رأيت همومي وأنت من فوق العلى، فانظر ما همومك يا هشام.

وكان مالك بن دينار بالبصرة في الأسواق فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع فيقول لنفسه:

- أبشرى فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك عليَّ.

قال مالك بن دينار:

- أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك: لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تركبوا مراكب أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي.

وذات يوم اشتهى مالك بن دينار كراعًا من هذه الأكرع التي قد طبخت، فلما وضعت أمامه راح يشمه ساعة ساعة، ومر عليه شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق، فقال مالك بن دينار:

- هاه يا شيخ.

وناوله إياه، ومسح أبو يحيى يده بالجدار، ثم وضع كساءه على رأسه وذهب.

لقد كان يشتهي ذلك الكراع منذ زمان، فاشتراه فلم تطب نفسه أن تأكله فتصدق به.

وكان مالك بن دينار يقول:

- لا تجعلوا بطونكم جربًا - جمع جراب - للشيطان يوعي فيها إبليس ما يشاء.

وقال مالك بن دينار:

- إن البدن إذا سقم لم ينجح فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجح فيه الموعظة.

وقال أبو يحيى:

- والله لقد أصبحت ما أملك دينارًا ولا درهمًا ولا دانقًا، ولئن لم يكن لي عند الله خير ما كانت لي دنيا ولا آخرة.

وقال مالك بن دينار:

- ما كان لمالك بن دينار من الدنيا إلا درهمان درهم لورقه - الذي يكتب فيه المصاحف - ودرهم ليشتري به خوصًا يعمل به.

ودخل جابر بن يزيد على أبي يحيى وهو يكتب مصحفًا فقال:

- يا مالك مَالَكَ عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله الكسب الحلال.

وكان مالك بن دينار يقول:

- من دخل بيتي فأخذ شيئًا فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا مفتاح.

وكان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول:

- لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب.

وقال أبو يحيى:

- اشتريت لأهلي طيبًا بدرهم، وإني لأحاسب نفسي فيه منذ عشرين سنة فما أجد لي مخرجًا.

* وتسور لص على مالك بن دينار داره، فلم يجد في الدار شيئًا يسرقه، فرآه وهو قائم يصلي، فأوجز أبو يحيى في صلاته، ثم التفت إليه وسلم عليه وقال:

- يا أخي تاب الله عليك، دخلت منزلي فلم تجد ما تأخذه ولا أدعك تخرج إلا بفائدة.

وقام مالك بن دينار وأتاه بركوة فيها ماء وقال له.

- توضأ وصل ركعتين، فإنك تخرج بخير مما جئت في طلبه.

فقال له اللص:

- نعم وكرامة.

وقام وتوضأ، وصلى ركعتين، وقال:

- يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أخرتين؟

قال أبو يحيى:

- زد ما قدر الله لك.

فلم يزل اللص يصلي إلى الصبح.

فقال له مالك بن دينار:

- انصرف راشدًا.

فقال اللص:

- يا سيدي أيخف عليك أن أقيم عندك هذا اليوم فإني نويت صيامه؟

فقال أبو يحيى:

- أقم ما شئت.

فأقام اللص عند مالك بن دينار أيامًا صائمًا قائمًا.

فلما أراد اللص الانصراف قال:

- يا مالك قد نويت التوبة.

فقال أبو يحيى:

- ذلك بيد الله عز وجل.

فتاب اللص وحسنت توبته، وخرج من عند أبي يحيى فلقيه بعض قطاع الطرق فقال له:

- أظنك قد وقعت بكنز؟

قال اللص:

- يا أخي وقعت بمالك بن دينار، جئت لأسرقه فسرقني، وقد تبت إلى الله عز وجل، وهأنذا ملازم الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب.

قال سلام من أبي مطيع:

- دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بلا سراج وفي يده رغيف يكدمه - كدم الرغيف: عضه بمقدم فمه -.

فقلنا:

- أبا يحيى ألا سراج؟ ألا شيء تضع عليك خبزك؟

فقال مالك بن دينار:

- دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى.

من أقوال مالك بن دينار:

* ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى.

* هؤلاء جهالكم كثير، لولا ذلك للبست المسموح، يا هؤلاء لا تجعلوا بطونكم جربًا للشيطان يوعي فيها إبليس ما شاء.

* لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح لي أن أعمد إلى بوري - حصير منسوج من القصب - فأقطعه بقطعتين فأتزر بقطعة وارتدى قطعة لفعلت.

* ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح - وريحان - وإن جزع رجع.

* إن لكل شيء لقاحًا وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعنا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد الآخر.

* بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك.

* جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال له:

- يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك.

فقال أبو يحيى:

- ينبغي إذا ذكرنا الجنة أن نخزي.

* كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا ويقع في الصالحين.

* خرج أهل الدنيا من الدنيا لم يذوقوا أطيب شيء فيها.

قالوا:

- وما هو؟

قال مالك بن دينار:

- معرفة الله عز وجل.

* قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتمنى.

* وددت أن الله عز وجل أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني، ثم يقول لي: يا مالك كن ترابًا.

* إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا - الصخر الأملس -.

* إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدك إلا فخرًا.

* إن الله جعل الدنيا دار مفر، والآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم، إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

* لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها: يا أيها الناس النار النار.

* لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أن يكون لي في الآخرة خص - بيت من قصب - من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار.

* كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته.

* يا إخوتاه بحق أقول لكم: لولا البول ما خرجت من المسجد.

* إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا همومكم رحمكم الله.

* إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

* ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

* إن الله تعالى عقوبات فتعاهدوهن من أنفسكم في القلوب والأبدان ضنك في المعيشة ووهن في العبادة وسخط في الرزق.

* زمرنا لكم فلم ترقصوا - أي وعظناكم فلم تتعظوا -.

* لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب.

* مثل المؤمن مثل اللؤلؤة أينما كانت حسنها معها.

* عرس المتقين يوم القيامة.

* السوق مكثرة للمال، مذهبة للدين.

* إن القلب المحب لله يحب النصب - التعب - لله عز وجل.

* إنكم في زمان أشهب - أبيض يخالطه السواد - لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفخارهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شباكهم.

* اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضًا ولا ينتهي بعضنا بعضًا، ولا يزرنا - يتركنا - الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل؟

* يقولون: الجهاد، أنا من نفسي في جهاد.

* إذا لم يكن في القلب حزن خرب، كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرب.

* إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفها، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق.

* نظرت في كل إثم فلم أجده إلا من حب المال، فمن ألقى عنه المال فقد استراح.

* كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة.

* العالم الذي لا يعمل بمنزلة الصفا - الحجر الأملس - إذا وقع عليه القدر زلق عنها.

* لئن أتصدق بتمرة حلال أحب من أن أتصدق بمائة ألف حرام.

* حلوا أنفسكم من الدنيا وثاقًا وثاقًا.

* العاقل الكامل من صلح مع الفاجر الجاهل.

* إن الله تعالى إذا أحب عبدًا انتقصه من دنياه فكف عليه ضيعته، ويقول:

- لا تبرح من بين يدي.

فهو متفرغ لخدمة ربه تعالى.

وإذا أبغض عبدًا دفع في نحره شيئًا من الدنيا ويقول:

- اغرب من يدي فلا أراك بين يدي.

فتراه معلق القلب بأرض كذا وكذا وبتجارة كذا.

* قيل لمالك بن دينار:

- ألا تتزوج؟

قال أبو يحيى:

- لو استطعت لطلقت نفسي.

* من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه، ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه.

* يا قارئ أنت قارئ، ينبغي للقارئ أن يكون عليه دراعة صوف وعصا راع يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى.

* إن من الناس ناسًا إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الجبابرة أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قراء الرحمن

بارك الله فيكم.

* كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل والأمر يعرض له عسى الله أن يجمع بينهما في دار فلا فرقة فيها.

وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى - شجرة في الجنة أوراقها كآذان الفيلة - ومستراح العابدين.

* احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى النجاة من السنة العامة.

* إن الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه.

مالك بن دينار ورواية الحديث عن المبعوث للناس كافة ﷺ :

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبيد الله.

بعض الأحاديث التي رواها وأسندت لمالك بن دينار:

قال أبو القاسم ﷺ :

- **خشية الله كل حكمة، والورع سيد العمل، ومن لم يكن له ورع يحجزه عن معصية الله عز وجل إذا خلا بها لم يعبء الله بسائر عمله شيئًا** (رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس، وأبو نعيم في الحلية).

وقال السراج المنير ﷺ :

- **تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشر** (رواه أبو نعيم في الحلية، والترمذي كتاب أبواب الطهارة).

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- **أوتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من**

نار كلما قرضت فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- **أوتيت ليلة أسرى بي إلى السماء، فإذا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك** (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال الشافع المشفع ﷺ :

- **أخبرني جبريل عن الله تعالى إن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي ووحدانيتي وفاقة خلقي إلى، واستوائي على عرشي، وارتفاع مكاني، إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما .**

يقول أنس بن مالك:

- ورأيت رسول الله ﷺ يبكي عند ذلك.

فتساءل خادم النبي عليه الصلاة والسلام:

- ما يبكيك يا رسول الله؟

قال نور الظلمة ﷺ :

- **بكيت لمن يستحي الله منه ولا يستحي من الله** (رواه الخليلي والرافعي عن أنس، وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال خاتم النبيين ﷺ :

- **ليؤيدن الله تعالى هذا الدين بقوم لا خلاق لهم** (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال البشير النذير ﷺ :

- **خصلتان لا تجتمعان في مؤمن سوء الخلق والبخل** (رواه البخاري في الأدب، والترمذي، وأبو نعيم في الحلية عن صدقة).

قالت أم المؤمنين عائشة عندما صحبت رسول الله ﷺ في حجة الوداع:

- يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع بحجة؟

فبعثها نبي الرحمة ﷺ مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فاعتمرت وحملها على قنب.

هذا من عيون حديث مالك بن دينار وصححيه (أخرجه البخاري في كتابه من حديث أبان).

ومر عمر بن الخطاب مع النبي ﷺ على يهودي وعلى النبي ﷺ قميصان فقال اليهودي:

- يا أبا القاسم اكسني.

فخلع النبي ﷺ أفضل القميصين فكساه.

فقال الفاروق:

- يا رسول الله لو كسوته الذي هو دون.

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- **ليس تدري يا عمر أن ديننا الحنيفية السمحة لا شح فيها، وكسوته أفضل القميصين ليكون أرغب في الإسلام** (رواه أبو حاتم الرازي عن محمد بن عاصم عن زهدم، وأبو نعيم في الحلية).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- **أن الله عز وجل يقول: أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، وأن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وأن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، إذا فلا**

تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتفرغ إلى أكفكم ملوككم (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء).

وفاة مالك بن دينار:

كان مالك بن دينار يقول:

- عجبًا لم يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده، كيف تقر بالدنيا عينه، وكيف يطيب فيهما عيشه؟

ثم يبكي أبو يحيى حتى يسقط مغشيًا عليه.

يقول حزم القطيعي:

دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه - يجود بنفسه -، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج.

وقال أبو عيسى:

- دخلنا على مالك بن دينار عند الموت فجعل يقول:

لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى.

يقول المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن - الختن عند الرجل: زوج ابنته - مالك بن دينار:

- يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله؟ فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل، وجاء مالك فقرب رغيفًا فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة، فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول:

إذا جمعت الأولين والآخرين فحَرِّم شيبة مالك بن دينار على النار.

يقول أبو صالح:

- فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويقول:

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

فما زال كذلك حتى طلع الفجر.

يقول أبو صالح:

- فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا يبل لي عنده بالة أبدًا، فجئت إلى المنزل وتركته.

يقول عمارة بن زاذان:

- أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال:

لولا أني أكره أن أصنع شيئًا لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق - الهارب -.

وظل مالك بن دينار يشهق ويضطرب حتى ظن الحاضرون أن كبده قد تقطعت في جوفه.

وقيل:

رأى مالك بن دينار مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقال له:

- ما لقيت بعد الموت؟

قال مسلم بن يسار:

- لقيت والله أهوالاً وزلازل عظامًا شدادًا.

فقال أبو يحيى:

فماذا كان بعد ذلك؟

قال مسلم بن يسار:

- ما تراه يكون من الكريم، قبل منا الحسنات، وعفا عن السيئات، وضمن عنا التبعات.

ثم أفاق من نومه وشهق شهقة ووقع مغشيًا عليه.

ثم مات بعد ذلك بأيام.

كانوا يرون أن قلبه قد انصدع.

وتوفى أبو يحيى قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة بعد الهجرة.

* * *